إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية للأباء الكهنة **يناير ٢٠١٧م**

يقود المرضعات

وصف أشعياء النبي الرب يسوع قائلاً: "كراعٍ يرعى قطيعه. بذراعه يجمع الحملان وفي حضنه يحملها ويقود المرضعات" (أش٤٠:١١). ومن المعروف أن المرضعات من الغنم تحتاج لرعاية خاصة حتى تتمكن من إتمام مهمتها الخاصة بإرضاع الحملان الوليدة الضعيفة التي تحتاج للبن وحنان أمهاتها حتى تقوى وتتشدد. لقد رأينا ذلك واضحاً في قصة يعقوب عندما قال لعيسو: "فقال له سيدي عالم أن الأولاد رخصة والغنم والبقر التي عندي مرضعة فإن استكدوها يوماً واحداً ماتت كل الغنم" (تك٣٣:١٣)

وبولس الرسول يصف نفسه قائلاً: "بل كنا مترفقين في وسطكم كما تربي المرضعة أولادها" (١تس٢:٧). بالتالي، نستطيع أن نفهم من كلمات كل من أشعياء النبي وبولس الرسول أن كلمة المرضعات تعود على كل أسقف وكاهن حيث يكلفه الروح القدس بولادة البنين وتعهدهم بالتغذية والرعاية الروحية إلى أن يتصور المسيح في قلوبهم ويكملون في الإيمان. وهذا بعينه ما يوصي به الأب الأسقف الكاهن عند رسامته قائلاً: "كن إذاً عاملاً بالوزنة التي ائتُمنت عليها لتردها متضاعفة. لتأخذ أجرة العبد الحكيم الأمين وتجمع الشعب على كلمة التعليم **مثل مربية تربي بنيها** لتخلص أنت والذين يسمعونك".

وتشبيه الرضاعة هذا لم يستخدم فقط في الكتاب المقدس لوصف الرسل والأساقفة والكهنة بل استخدمه الوحي الإلهي في سفر أشعياء ليصف الكنيسة أيضاً: "افرحوا مع أورشليم وابتهجوا معها يا جميع محبيها. افرحوا معها فرحاً يا جميع النائحين عليها. لترضعوا وتشبعوا من ثدى تعزياتها. لتعصروا وتتلذذوا من درة مجدها. لأنه هكذا قال الرب هأنذا أدير عليها سلاماً كنهر ومجد الأمم كسيل جارف فترضعون وعلى الأيدي تحملون وعلى الركبتين تدللون" (أش٦٦: ١١-١٢)

ومن الناحية الطبية يكون ثدي المرأة خالياً من اللبن وجافاً حتى تحمل في طفلها وعندئذ تحدث بعض التغيرات الفسيولوجية بحيث يتدفق منه اللبن على الفور بعد ولادة الطفل. هكذا قصد الله في تدبيره ورعايته للوليد الضعيف الصغير أن يرتب له حاجته من اللبن بتجهيز ثديي أمه الجافين لهذه المهمة.

هذا بعينه ما يحدث بالتوازي في عالم الروح. فالمرشح للكهنوت قد يجزع كثيراً من ضخامة المهمة الروحية المزمع قبولها. إنه بحسابات بشرية لا يرى سوى جفاف نفسه وضعف روحياته متسائلاً كيف يستطيع من مخزون روحه ونفسه وجسده المحدود أن يشبع الاحتياجات الروحية لكل فرد يؤتمن على رعايته. يشبه ذلك حال امرأة تتساءل قبل أن تحمل بجنينها كيف يمكن لثدييها الجافين أن يرضعاه.

هذا هو عمل النعمة في حياة الكاهن. الراعي الصالح الوحيد هو الرب يسوع المسيح وهو وحده الذي "يقود المرضعات". تصوروا معي لو أن أماً من أمهات الغنم المرضعات تمردت على قيادة الراعي وقررت أن تنعزل برضيعها بعيداً عنه ماذا سيحدث لها؟ بالقطع سوف تموت ويهلك رضيعها. بالمثل ما لم يلتصق الكاهن كل يوم بل وكل لحظة بالروح القدس

ويخضع لقيادته باتضاع شديد فإن أنهار الماء الحي الجارية من بطنه لتروي أبناءه سوف تجف لا محالة، فهلك هو ورعيته ويقع تحت الويل القائل: "ويل للرعاة الذين يهلكون ويبددون غنم رعيتي" (إر٢٣:١)

الأمور المحيرة والمربكة التي تمر على الكاهن في خدمته كثيرة. والاحتياجات الروحية لأبنائه متنوعة وعديدة لكون الطريق الروحي طويل ومتعدد المراحل والحروب. إلا أن الكثير من الآباء الكهنة اختبروا كيف بواسطة تواضعهم وصلواتهم يضع الله في أفواههم كلمات إرشاد وتعزية لم يكونوا قط يتصورون أنهم قادرون على التكلم بها من ذواتهم. فكم من مرة وجد الكاهن نفسه متكلماً بإرشاد الروح القدس بما فيه نفع جزيل للسامع لكنه مضاد تماماً لآرائه وأفكاره واتجاهاته الشخصية؟ كم من مرة شعر الكاهن وهو يتجهز لإلقاء عظة بإفلاسه وخواره الروحي الشديد فصرخ مستنجداً بالروح القدس الذي "يقود المرضعات" فأسرع إلى معونته وملأ فاه بجدد وعتقاء؟ حقاً ما أصدق قول القديس أغسطينوس: "احذر من اليأس من نفسك فقد أوصيت أن تتكل على الله (الذي يقود المرضعات) لا على ذاتك".

خواطر بطرسية

كلما نسمع ونقرأ عن الألام التى يتعرض لها المسيحيون والتفجيرات والموت والضيقات والأحزان التى تحيط بنا من كل جانب قد تجول بأذهاننا بعض الخواطر .. لماذا نحن المسيحيون بالذات قد جُعلنا موضوع الضيقات وهدف المخاطر ومصب الأحزان؟ أهذا يارب هو جزاء أمانتنا لك؟ أهذه هى مكافأتنا لأننا نؤمن بك ونسلك بخوف الله؟ أين عدالة السماء ؟! ماهذا الذى نراه كل يوم: الأشرار وغير المؤمنين نراهم ناجحين ومتكبرين ومفلحين بينما القديسون مساكين !

ويشترك معنا فى هذه التساؤلات أرميا النبى ، ففى "أرميا ١٢" يسأل الرب قائلاً: أبر أنت يارب من أن أخاصمك، لكن أكلمك من جهة أحكامك. لماذا تُنجح طريق الأشرار؟ إطمأن كل الغادرين غدراً، غرستهم فأصلوا نمواً وأثمروا ثمراً .. أنت قريب من فمهم وبعيد عن كلاهم. وأنت يارب عرفتنى رأيتنى وإختبرت قلبى من جهتك". ثم يبوح أرميا النبى بما فى قلبه فيقول للرب: " إفرزهم كغنم للذبح وخصصهم ليوم القتل. حتى متى تنوح الأرض ويبس عشب كل الحقل من شر الساكنين فيها. فنيت البهائم والطيور ....

+ ياربى يسوع المسيح: دعنى أفصح عما فى قلبى إليك: هوذا أولادك وبناتك ودعاء وأطهار، هم مثل الحمام الوديع .. ولكن الأشرار يقتلونهم ويفجرون القنابل فى أجسادهم ويطردونهم من بيوتهم ويشمتون فى أحزانهم .. أهذا يارب هو جزاء القديسين؟! أهذا يارب هو نصيب الأبرار!

+ وأسمع صوت الرب يجيبنى ... لماذا أنت مضطرب هكذا؟ أليس هذا هو ما سبقت فقلت لكم: أنه فى العالم سيكون لكم ضيق (يو ١٦ : ٣٣) ألم أكن صادقاً معكم وقلت: إن أراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعنى (مت ١٦ : ٢٤)، ألم أحمل أنا الصليب من أجلك حتى أرفع عنك حكم الموت وأردك إلى الفردوس؟ ألم يمت البارمن أجل الأثمة ... لماذا يستكثر الخطاة أن يموتوا من أجل البار الذى أحبهم إلى المنتهى. ألم أقل لك عن حساب النفقة وأن من أراد أن يبنى برجاً يصل به إلى السماء عليه أن يجلس ويحسب هل معه ما يكفى لبنائه .. ألم أصارحك بأنك إن أردت أن تقاوم ابليس ولا تكون من تابعيه الهالكين معه فى نار جهنم، عليك أن تحتمل ما يأتى به عليك من محاربات؟ ألم تفهم ما أعلنه سفر الرؤيا بأنه " ويل لسكان الأرض لأن ابليس نزل إليهم بغضب عظيم ليصنع حرباً مع نسل المرأة الذين عندهم شهادة يسوع المسيح" (رؤ ١٢ : ١٧). من هم نسل المرأة الذين

صاروا مُستَهدفين لحروب الشياطين إلا أبناء الكنيسة الوديعة الذين لم يقبلوا السمة على جباههم (رؤ ١٣ : ١٦) ولم يحنوا ركبة لبعل و رفضوا الدخول فى الطريق الواسع المؤدى إلى الهلاك، بل فرحوا بالطريق الضيق بالرغم مما فيه من أتعاب.

+ إسمعوا أيها الأحباء: إن الرب لم يَعِدْنا بجنات من نخيل وأعناب ولم يُعِدَّ لنا العذارى ذوات العيون الحوراء لكى نتنجس معهن. بل دعانا أن نحمل النير. وأحياناً قد نحس أن النير ثقيل فوقنا. ذلك لكى نصرخ نحو الرب بأكثر لجاجة طالبين منه أن يحمل النيرمعنا وحينئذ سوف نحس أن نيره خفيف.

+ أكادُ أسمع صرخات الرب يسوع عندما كان الجندى الرومانى يدق المسمار الحديدى فى كفه ليسمره فى الخشبة ... واليوم نسمع صرخات الأمهات والأطفال الذين تفجرت فيهم القنابل فى الكنيسة البطرسية ... كان الصليب هو السرور الموضوع أمام الرب (عب ١٢ : ٢) فإحتمل العار والخزى فجلس فى يمين عرش الله. واليوم تُكمل الكنيسة الشهيدة نقائص شدائد المسيح فى جسد أبنائها وبناتها الذين تمزقت أجسادهم داخل الكنيسة. طوبى لهذه الكنيسة الشاهدة والشهيدة التى لم يجف دم شهدائها يوماً واحداً .. منذ دم مار مرقس إلى الساعة الحاضرة. لقد حاول بطرس الرسول قديماً أن يفلت من الإستشهاد فخرج من روما، فقابله الرب يسوع داخلاً روما ليموت بدلاً عنه ... فتشجع بطرس وعاد ليأخذ الأكاليل. وأخذه وهو منكس الرأس على صليب. أما الآباء الرسل بعد أن ضربهم اليهود فى المجمع، خرجوا فرحين إذ حُسبوا مُستأهلين أن يهانوا من أجل اسم المسيح. أما بولس الرسول فكان مسروراً بالضعفات والشدائد لأنه عرف أنه بينما هو ضعيف تحل عليه قوة الرب (٢ كو ١٢ : ١٠). أما الكنيسة القبطية أم الشهداء فلم يخلُ عصر من العصور إلا وكان لها شهداء وذلك من أجل عظم محبتها للملك المسيح.

ولذلك أيضاً فإن الملك سيفرح بها يوم تُدعى الكنيسة لملاقاة الرب على السحاب. وسوف يحمل الرب شهداءها مثل اللآلئ اللامعة فى إكليله وسوف يفتخر بهم لأن رائحتهم تشبه رائحة الجلجثة!

+ ياأحبائى إن الكنيسة مدعوة لأن تكمّل نقائص شدائد آلام المسيح. وذلك منذ نزل إليها ابليس بغضب عظيم من السماء ليصنع حرباً مع نسلها. فما نراه ونسمعه ونعيش فيه ليس غريباً على الكنيسة. لأن الكنيسة إختارت طريق الصليب لتسير وراء عريسها وحبيبها. لذلك فهى تكمل نقائص شدائد الرب فى جسدها. ولذلك ينبهنا الرسول بطرس أن لا تستغربوا البلوى المحرقة الحادثة بينكم كأنها أمرغريب (١ بط ٤ : ١٢) لا... هذا أمر طبيعى لأننا إخترنا أن نكون جنوداً للملك المسيح لأننا ناظرين ليس إلى الأمور التى ترى بل إلى الأمور التى لا ترى (٢ كو ٤ : ١٨).

والكتاب يطمئننا قائلاً: "إن آلام الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد أن يستعلن فينا" (رو ٨ : ١٨) وأنه "إن كنا نتألم معه فسوف نتمجد أيضاً معه" (رو ٨ : ١٧).

وأن "خفة ضيقتنا الوقتية تنشئ لنا أكثر فأكثر ثقل مجد أبدياً" (٢ كو ٤ : ١٧).

+ طوبى لمن اخترتهم وقبلتهم يارب ليسكنوا فى ديارك إلى الأبد. طوبى لمن إخترتهم ليكونوا باكورة من خلائقك. طوبى للذين جئت لتدعوهم للعرس فوجدتهم ساهرين مصلين فى الكنيسة. " لتمت نفسى موت الأبرار ... ولتكن عاقبتى كعاقبتهم" (عد ٢٣ : ١٠).

إقبل اليك يارب وديعة هؤلاء القديسين. و افتح لهم أبواب الفردوس وأدخلهم إلى ملكوتك، بجوار العذراء الأم الحنونة وبجوار دميانة وبربارة

ويوستينا ومارينا .. إن أرواحهن الآن تسبحن مع طغمات الملائكة النورانيين حول عرش الخروف المذبوح عن حياة العالم.

اطلبوا من الرب عنا ياصفوف الشهيدات القديسات لكى يعيننا الرب لنكمل جهادنا بسلام وننال النصيب الصالح الذى نلتموه. آمين.

مقالات في التاريخ المسيحي

القرن الرابع الميلادي

شخصية القديس باخوميوس: تبقى شخصية القديس باخوميوس بارزة عبر العصور كشخصية قيادية جمعت الكثيرين في الأديرة فكان يدبّرها بروح المحبة مع الحزم مهتماً بخلاص كل نفس ونموّها الروحي. فعُرف القديس بوادعته وتواضعه مع حبه الشديد لأولاده ورقَّته في التعامل وطول أناته وكان يتسم أيضًا بالحزم.

كان للقديس باخوميوس أيمان شديد في حفظ وعناية الله له في الحياة. ذات مرة خرج هو وأخيه يوحنا الي النيل لوضع بعض الخوص الطويل في الماء قليلاً ليلين. وفجاءة ظهر أحد التماسيح الكبيرة وتوجه نحو باخوميوس ويوحنا الذان كان في المياة حتى وسطهم. فجرى يوحنا سريعاً نحو البر وهو يصرخ لأخيه أن يخرج خوفاً من التمساح. أما القديس باخوميوس فقال ليوحنا أخيه في هدوء " هل تظن أن هذه الوحوش هي أسياد أنفسهم؟" ثم رش ماء على فم التمساح العريض وقال: "ليزجرك الرب. أمضي بعيداً ولا تعاود في الظهور هنا أبداً". بعد قليل غطس التمساح ولم تعد أي تماسيح تظهر في ذاك المكان بعدها (حتى للأخوة فيما بعد) أحتراماً لكلمة القديس باخوميوس.

بداية أديرة ورهبنة البنات: كان لباخوميوس أخت تدعى مريم وكانت عذراء هذه لما سمعت عن أخبار أخيها في رهبنة أخوة كثيرون جاءت لرؤيته. فلما علم باخوميوس بوصولها أرسل يقول لها: "يكفى أنك تعلمين إنني على قيد الحياة، فلا تتضايقي بسبب عدم رؤيتي وأعلمى أنكِ إذا رغبتِ الاشتراك معنا فى هذه الحياة فإنكِ ستجدين نعمة أمام الله. وعلى أى حال اختبرى نفسك فى هذا الأمر والأخوة مستعدون أن يبنوا لكِ مكاناً تعيشين فيه ، وحتماً سيدعو الرب أخريات يعشن معكِ ويخلصن بسببك. وإذا كان الإنسان لن يخرج بشئ من هذه الحياة، فعليه إذن أن يعمل الصلاح استعداداً للحظة مفارقته هذا الجسد وذهابه إلى الأبدية وفقاً لأعماله." (ترجمة عن المخطوط البحيري) فلما سمعت أخته هذا الكلام من فم الأخ البواب بكت متأثرة وقبلت النصيحة ووافقت أن تعيش بقية عمرها تلك الحياة الملائكية. فلما وجد آبا باخوميوس أن قلبها قد مال للحياة الفضلى الصالحة أرسل للحال بعض الأخوة وبنوا لها ديراً فى قرية على مقربة من ديره، كما بنوا كنيسة صغيرة فى وسط الدير. ثم ما لبث أن سمع بخبرها كثيرات فجئن إليها، وعشن يمارسن معاً حياة النسك بجد واجتهاد. وعاشت أماً لهن، متقدمة ومسئولة عنهن جميعاً، حتى لحظة انتقالها. ولما وجد آبا باخوميوس أن عدد العذارى فى ازدياد دائم عين لهن أحد الشيوخ، يدعى آبا بطرس مشهوداً له بكلام النعمة الخارج من فمه، حتى يقودهن فى طريق الفضيلة بحسب وصايا الإنجيل. كما كتب لهن أيضاً قوانين الشركة.

نياحة القديس باخوميوس: في نهاية عام ٣٤٧م والعام التالي ٣٤٨م انتشر وباء الطاعون في صعيد مصر وتنيح كثير من الرهبان بسببه. وخلال الأربعين المقدسة مرض القديس باخوميوس ولم يخبر أحد بل

لشدة عزيمته ذهب مع الأخوة ليعمل فى الحصاد، وبينما هو يجمع الثمار معهم إذ به يسقط وسط الرهبان فرفعه الأخوة وأحضروه إلى الدير فوجدوا أنه مريض بالحمى. ولما جاء الأسبوع الأخير(أسبوع الآلام) فحضر جميع الأخوة من كل الأديرة إلى فابو، حتى يعيدوا القيامة معاً. وفى مساء يوم الجمعة العظيمة، جمع كل الأخوة وتحدث إليهم كما تحدث صموئيل إلى شعبه فى ذلك الوقت، معلماً إياهم جميع أحكام الرب، وفتح باخوميوس فاه قائلاً : "يا اخوتي وأبنائي، لقد اقترب الوقت، الذى أذهب فيه إلى طريق الأرض كلها. مثل كل آبائي، وها أنتم تعلمون كيف سلكت بينكم بكل تواضع وإنكار ذات، غير مميز نفسى عن أى أحد منكم فى أى شئ، بل على العكس عشنا معاً كفرد واحد، وأنني لم أخف شيئاً عنكم من أحكام الرب فى هذا المكان المقدس. والرب شاهد على ضميرى، إننى لا أتكلم بهذا لكى أتباهى به أو أفتخر، وعلى ذلك فإنني لن أقول لكم عما فعلته، بل سأكشف لكم عن الأمور التى لم تعلن لكم من قبل حتى تطمئن قلوبكم. الرب يعلم إننى لم أتسبب فى عثرة أى واحد منكم، والقوانين التى وضعتها لكم، إن أهملتموها، ولم تمارسوها فلن تكون هناك راحة لنفوسكم قط. وأنا أقول لكم ذلك لأننى لا أعلم ماذا سيحدث لنا. فالإنجيل يوصينا قائلاً: إسهروا لأنكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة التى فيها يأتى ابن الإنسان. .....

وكان أبونا باخوميوس يؤكد هذه الأمور للأخوة، وهو راقد على فراش المرض، صائماً. لم يذق طعاماً قط والكل من حوله يبكى لا سيما لأن وقت رحيله قد قرب، ولخوفهم من الشدة التى قد تحيق بهم بعد أن يفتقده الرب. أستمر آبا باخوميوس مريضاً حتى جاءت الخمسين المقدسة وقبل نياحته بثلاثة أيام استدعى جميع المسئولين من بين الأخوة وتحدث معهم وذهب فى غيبوبة لفترة من الزمن، ولم ينطق بكلمة أخرى لأحد حوله. ثم رشم علامة الصليب على نفسه ثلاث مرات. ثم فتح فمه وأسلم الروح فى مساء يوم ١٤ بشنس فاهتز المكان ثلاث مرات ونظر بعض من الشيوخ الأتقياء وكشف لهم الرب عن أعينهم، فرأوا جنداً من الملائكة يحيطون بالأنبا باخوميوس، ويتقدمون روحه وهم يرنمون ويسبحون بفرح، حتى وصلت الروح إلى مكان راحتها. وانطلقت من المكان الذى فاضت فيه روحه رائحة بخور عطرة. استمرت لعدة أيام.

ملحوظة: فى دير الشايب بالأقصر يعيدون لنياحة القديس باخوميوس يوم عيد الصعود حيث تصادف أن كان يوم انتقاله هو يوم عيد الصعود وفى دير الأنبا باخوميوس بحاجر إدفو يعيدون له يوم ١٤ بشنس بغض النظر عن عيد الصعود.

كانت أيام الأنبا باخوميوس على الأرض ستون عاماً. بدأ حياة الرهبنة وله من العمر واحد وعشرون عاماً، ثم قضى فى الحياة الرهبانية تسعاً وثلاثين سنة. وتنيح يوم ١٤ بشنس في وباء الطاعون الذي أصيبت به مصر سنة ٣٤٨م بركة صلواته وطلباته تكون معنا.

مراجع هذا المقال :

١. التاريخ الرهباني في أواخر القرن الرابع المسيحي - الراهب بولا ساويروس البراموسي (التاريخ اللوزياكي لبلاديوس).
٢. كتاب القديس ديديموس الضرير : لاهوتي الروح القدس - القمص أثناسيوس فهمي جورج.
٣. كتاب الرهبنة القبطية - القمص متى المسكين (سيرة القديس مقاريوس الكبير ص ٥٥ حتى ص ١٢٠)
٤. كتاب بستان الرهبان - سيرة القديس باخوميوس.